(طلوع الشمس على قوم لا ستر لهم من دونها)

في قوله تعالى في سورة الكهف ٩١ (حتى إذا بلغ مطلع الشمس

وجهدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا)

(وما قاله المفسرون في معنى هذه الآية)

إن المفسرين قالوا في معنى هذه الآية إن ذا القرنين لما بلغ في فتوحاته مطلع الشمس أي غاية الأماكن المكونة من مطلع الشمس أي الشرق وجد أن الشمس هناك تطلع على قوم ليس بينهم وبينها ما يسترهم منها أي ليس هناك شجرة ولا جبل ولا أبنية تمنع من وقوع شعاع الشمس عليهم فهذا السبب إذا طلعت الشمس دخلوا في أسراب الأرض أو غاصوا في الماء فكان يتعذر عليهم عند طلوع الشمس التصرف في معاشهم وعند غروبها يشتغلون بتحصيل مهمات المعاش فكان حالهم بالضد من أحوال سائر الخلق.

وقال بعضهم أن معناه أنه لا ثياب لهم بل هم عراة دائما كسائر الحيوانات وذلك كبعض الزنوج والهنود. وقال بعضهم أن نفي جعل ساتر لهم من الشمس عبارة عن قربها إليهم وتأثيرها فيهم بشدة حرارتها ونيلها منهم حتى كانوا يشوون السمك بحرارة الشمس. وقال بعضهم أن القوم الذين ليس لهم ستر من دون الشمس هم الذين يفترشون أحد أذنيهم ويلتحفون بالأذن الأخرى وقال بعضهم أن أرض هؤلاء القوم كانت لا تحمل البناء عليها أصلا بل كانت تغور به فكانوا إذا طلعت الشمس غاصوا في المياه فإذا غربت خرجوا يتراعون كما تراعي البهائم هذه هي أقوال المفسرين في معنى الآية.

(ما أفهمه في معناه خلافا للمفسرين)

أقول أن معنى عدم وجود ستر بين الشمس وبين هؤلاء القوم أنهم كانوا في المنطقة التي لا تغيب عنها الشمس لقربها من أحد القطبين فإنه يوجد هناك بعض البلاد يكون النهار فيها عشرة أشهر والليل شهران وبعضها أقل من ذلك أو أكثر وبعضها يكون النهار فيها ثلاث وعشرون ساعة مثلا والليل ساعة واحدة وبعضها أقل من ذلك أو أكثر وهكذا بحسب مواقع تلك البلاد من أحد القطبين وحسب بعدها عن خط الاستواء وقربها منه وتكون الليل والنهار وطولهما أو قصرهما إنما يكون من دوران الأرض على نفسها حول الشمس مما يقابل الشمس من الأرض يكون فيه نهار وما يستتر عنها يكون فيه ليلا وأما القطبين فبينما يكون أحدهما ليل دائما إلا قليلا يكون القطب الآخر نهارا دائما إلا قليلا والعكس بالعكس حسب دوران الأرض حول الشمس.

وحينئذ فليس معنى عدم وجود ستر بين الشمس وبين هؤلاء القوم في بلادهم إلى عدم حيلولة شيء من الأرض بينهم وبين الشمس يكون حجابا بينهما وستر لهم من دونها أي عم وجود ليل عندهم فهؤلاء القوم قد كانوا دائما في نهار أو أن أكثر أوقاتهم كانت نهارا. وهذا شيء حاصل بالفعل في بعض مناطق الأرض فيكون تفسر الآية بذلك تفسيرا بما هو واقع فعلا وبما هو دال على كثرة فتوحات ذي القرنين حيث أنه وصل في فتوحاته إلى أقصى الأرض وأنه ملك معظمها من مشرقها إلى مقربها حتى الجزء الذي لا يكون فيه ليل بل كله نهار وهو ما عبرت عنه الآية بقولها (حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم يجعل لهم من دونها سترا) أي بلغ الموقع الذي لا تغرب عنه الشمس أي الذي يكون النهار فيه دائما.

وهذا المعنى أي تغلب ذي القرنين على معظم الأرض من مطلع الشمس إلى مغربها هو المقصود لهذه الآية حيث قال قبلها "إنا مكناه في الأرض وآتيناه من كل شيء سببا فأتبع سببا حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجها تغرب في عين حمئة ...إلخ" أي إلى أن قال "حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا" فالمقصود من هذه الآية بيان نعمة الله تعالى على ذي القرنين بتمكينه من الأرض وفتحه لأغلبها من مطلع الشمس إلى مقربها: وهذا المعنى لا يتحقق إلا فيما قلناه. ولا يتحقق فيما قاله المفسرون من أنه وصل إلى أرض لا بناء فيها ولا شجر ولا جبل يسترهم من الشمس. وأنه وصل إلى أرض لا تتحمل البناء عليها أصلا لكونه يغور فيها. أو أنه وصل إلى قوم عراة لا لباس لهم يسترهم من الشمس، أو أنه وصل إلى قوم

يفترشون إحدى الأذنين ويلتحفون بالأخرى. فإن كل هذه التفاسير مع أنها بعيدة أو غير معقولة فإنها لا تحقق المعنى المقصود لهذه الآية من بيان امتداد فتوحات ذي القرنين امتدادا كثيرا في الأرض لان الأماكن التي ذكرها المفسرون والأقوام التي وصفوها بتلك الصفات ربما تكون قريبة من البلاد التي كانت بيد ذي القرنين من قبل وحينئذ فلا يكون هناك امتداد كبير جدا في فتوحات ذي القرنين كما هو المقصود لهذه الآية. وعلى كل فإني لا أجد حاجة لما يتمحله المفسرون.

(القرآن يبين كيفية تولد السحاب والمطر في السماء)

وكيفية إنزاله على الأرض قبل اكتشاف العلم الحديث لذلك بمئات السنين

قال تعالى في سورة النور ٤٣ (ألم تر أن الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار).

وقال أيضا في سورة الروم ٤٨ (الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم تستبشرون).

كنت مرة في مجلس مع بعض العلماء وكان المطر غزيرا فإنجر الكلام إلى المطر ومن أين ينزل وكيف يتكون فذكرت لهم ما أثبته العلم الحديث من أنه يتكون من الأبخرة المائية التي تبخرها أو تسحبها لشمس من البحار والأنهار ومن كل ذي رطوبة في الأرض التي تثيرها الرياح وتسحبها أيضا من هذه الأشياء ثم أنها تتراكم وتتكاثف في الطبقة الباردة من الجو ثم تتقطر وتنزل إلى الأرض بواسطة الرياح والأعاصير. وقلت لهم أن العلماء الغربيين يدعون أن معرفة ذلك قد كان من مبتكراتهم وأبحاثهم واكتشافاتهم مع أن الله تعالى قد بين ذلك أتم بيان في القرآن قبل هذه الاكتشافات بكثير من الزمان وسعت لهم هاتين الآيتين المنعدمتين فأبوا قبول ذلك واستنكروا وزعموا أن الأحاديث تفيد أن المطر إنما هو من ثمر شجر في الجنة أو من بحر عذب موجود لبين السماء والأرض، ورغم مما بينت لهم من الأدلة العقلية ومما تفيد هذه الآيات القرآنية فإنهم أصروا على ما زعموا إصرارا واستكبروا عما قلته استكبارا.وبالنظر لكون هاتين الآيتين تبينان كيف يتكون السحاب والغمام ومن أين ينزل المطر فإني أذكر هنا معناها وما يصرحان به.

يقول تعالى (ألم تر أن الله يزجي سحابا) الإزجاء هو سوق الشيء قليلا قليلا ورفعه شيئا فشيئا والسحاب هو ما يسحب برفق وسهولة في الهواء فالأبخرة المائية التي تسحبها الشمس من البحار والأنهار ونحوها والذرات المائية التي تثيرها الرياح من البحار والأنهار ونحوها كل منها يسمى سحابا كما أن الغمام أي الماء المتجمع في ذلك يسمى سحابا أيضا لانسحاب كل منها في الهواء بسهولة ورفق.

وقوله تعالى (ألم تر) صريح في أن الأمر مرئي معلوم لكل الناس لأن الخطاب عام لكل من يرى، وهذا دليل على ما نقول لأن تبخير الشمس للماء وإثارة ذراتها بالهواء أمر معلوم لكل الناس أيضا بخلاف ما قاله العلماء من أن المطر لا يتفق مع آيات القرآن. أما ما قاله هؤلاء العلماء من أن المطر من ثمر الشجر في الجنة أو من بحر عذب بين السمار والأرض فإنه ليس مرئيا لأحد ولا معلوما للناس حتى يسألهم الله عند السؤال تقرير لنقيم الحجة عليهم بما هو معلوم لديهم. وقوله تعالى (ثم يؤلف بينه) دليل آخر على ذلك أي أن الله تعالى يؤلف بين هذه الذرات وبجمع هذه الأبخرة المائية بعد أن كان مبسوطة في السماء أي متفرقة في الجو المرتفع فيضم بعضها إلى بعض حتى تصير ركاما أي متراكمة متراصة ثم تصبح كسفا أي قطعا عظيمة كالجبال فترى الودق أي حبات المطر تخرج من خلالها فإن كان البرد والزمهرير قليل نزل المطر حبات ماء غير متجمدة وإن كان البرد الزمهرير متوسطا نزل المطر ثلجا وإن كان البرد والزمهرير كثيرا جدا والهواء عاصفا نزل المطر بردا أي حبات ماء متجمدة وهذا المعنى قوله تعالى(وينزل من السماء من جبال فيها من برد) فالمراد من السماء العلو ومن الجبال الغمام الكثير الكثيف الثقيل الذي هو كالجبال ومن البرد حبات الماء المتجمدة التي تتناثر من جبال هذا الغمام وكثير ما أطلق القرآن لفظ السماء على نفس الغمام كما قال تعالى (وأنزل من السماء ماء) أي أنزل من سماء الغمام ماء إذ الماء إنما ينزل من الغمام كما أنه كثيرا ما أطلق القرآن أيضا لفظ السماء على مطلق العلو ولو قليلا بصريح قوله تعالى (كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في المساء) فإنه يفيد أن مطلق العلو ولو كان مقدار علو فرع الشجرة عن الأرض يسمى سماء وبالجملة فإن الآية المتقدمة صريحة في أن المطر إنما يتكون بتبخير الشمس والهواء من بحار الأرض وأنهارها ومن كل ذي رطوبة فيها وأنها تتصاعد شيئا فشيئا حتى تصل إلى الطبقة الباردة في الجو فتتراكم هناك وتجمد حتى تصير غماما كالجبال ثم ينزل منها المطر بواسطة الهواء والرياح الشديدة التي تسمى الأعاصير لأنها تعصرها وتحللها حتى تتقاطر ماء أو تتناثر ثلجا أو برادا كما قال تعالى (وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا) أي أنزلنا من السحاب ذات الأعاصير أي الرياح الشديدة ماء ثجاجا أي ماء منصبا بكرة. وما قلناه لهؤلاء العلماء في هذا الموضوع هو المعقول الذي يثبته العلم وصرح به القرآن وهذا هو المشاهد المرئي الذي يصح أن تقوم به الحجة على أهل الفساد والإنكار لا ما قاله علماء التقليد والجمود وأهل الكبرياء والجحود.